الأمثال والحكم (المفهوم ،و نماذج لأشهر الحكماء)

توطئة

منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرناً والعرب يحترفون الكلمة، وينحتون جمالياتها فنون الإبداع، ومن بين أقدم تلك الفنون أمثالهم وحِكمهم الدالة على مقدرتهم الفائقة في تركيز المعنى والدلالة باختزال اللفظ.

والأمثال حكمة العرب وصوتها في جاهليتها وإسلامها، وصورة ماثلة عن أسرار بلاغتها وجوامع كلمها، بها تستهوي القلوب وتتصرف في الكثير من وجوه الكلام. قال عنها ابن عبد ربه: «هي وشي الكلام وجوهر اللّفظ وحلي المعاني، والتي تخّيرتها العرب وقدمتها العجم ونطق بها في كل لسان. فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة، ولم يسر شيء مسيرها ولا عم عمومها، حتى قيل :أسير من مثل. »[1]، لكونها من مأثور كلامهم ومقدس تصورهم نتجت عن لفظ اعتاد العربي استخدامه في بعض المناسبات والمواقف الحياتية كالدعاء والمجاملة والمشاركة، لتتحول العادة إلى مثل أو حكمة.

أولا: تعريف المثل والحكمة:

وردت لفظة المثل في أقوال الجاهليين ودلت المصادر كذلك على ممارسهم لها حينها[2]؛ يقول النابغة الذبياني:

وإني لألْقَى من ذوي الضِّغْنِ منهمُ، و ما أصبحتْ تشكو من الوجدِ ساهرهْ
كما لَقِيَتْ ذاتُ الصَّفا من حَليفِها؛ وما انفكّتِ الأمثالُ في النّاس سائرَهْ

1. تعريـف الأمثـال:

أ –**المفـهوم اللغـوي** : يحمل لفظ المثل في اللّغة معانٍ عدة، يمكن تحديد بعضها فيما يلي:

(1).ابن عبد ربّه. العقد الفريد. تحقيق / الأساتذة : أمين وصقر والأبياري .ط 2 .دار المعارف. القاهرة. 63. / 3 .

(2).«في السيرة النبوية من أن سويد بن الصامت قدم مكة حاجا أو معتمرا.. فتصدي له رسول الله ﷺ حين سمع به، فدعاه إلى الله والإسلام، فقال سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي، فقال له الرسول: وما الذي معك؟ فقال: مجلة لقمان، فقال الرسول: اعرضها علي فعرضها عليه، فقال له: ان هذا لكلام حسن. والذي معي أفضل من هذا: قرآن أنزله الله علي هو هدى ونور، فتلا عليه القرآن ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه، وقال: إن هذا القول حسن»[2] السيرة النبوية لابن هشام طبعة الحلبي.

1.المشابهة: المِثل الشبيه نقول فلان مثل فلان أي يشبهه، وماثل الشيء شابهه ويمكن الاستدلال على ذلك برأي **ابن منظور** في قوله: « المثل، الشَّبه يقال مِثلٌ ومثَلُ وشِبه وشَبه بمعنى واحد»[1]، وهذا ما ذهب إليه **أبو هلال العسكري** إذ قال:«أصل المثل، التّماثل بين الشيئين في الكلام؛ كقولهم **(كما تدين تدان)**؛ وهو من قولك: هذا مثل الشيء ومثلُه، كما تقول شِبهه وشَبهه»[2]

2. الصفة: ويحمل المعنى قول **الميداني** «يقال :مثَلُك و مثَلُ فُلاَن أي صفتك و صفته»[3] وفي كتابه عز وجل **{مثَلُ الجنَّةِ ٱلَّتِي وعِد ٱلمتَّقُون }**

3. النَّظير :و يتضح في كتابه **عز وجل {وضرب لَنَا مثَلاً ونَسِي خَلْقَه).**

وإلى جانب هذه المعاني هناك معانٍ أخرى لكلمة "مثل" ودلالات أخرى أيضا كالآية والحجة والمثال والقول المأثور والقدوة...إلى غير ذلك من المعاني المستوحاة من أصل المادةّ اللغوية لكلمة المثل باختلاف السياق الواردة فيه.

ب –**المفـهوم الاصطلاحي:**

وانطلاقا من الاختلاف الحاصل في حصر مدلول لفظة المثل، كان اختلاف التوظيف والاصطلاح أوسع ومفاهيم اللغويين والنقاد أكثر وأنوع، ويمكن عرض جانب من السجال فيها فيما يلي:

يذكر السيوطي أن الفارابي يعرف المثل بقوله: هو« ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه، حتى ابتذَلوه فيما بينهم وفَاهوا به في السراء والضراء، واستدروا به الممتنع من الدر ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرجوا به عن الكرب والمكربة، وهو من أَبلغ الحكمة لأن

(1).ابن منظور: لسان العرب، ج11، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1965 ، ص 11.

(2).أبو الهلال العسكري، جمهرة الأمثال، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص11.

(3).أبو الفضل أحمد الميداني، مجمع الأمثال، ج1، تحقيق عبد الله توما، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2002، 71.

الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة، أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة»[1]

ويحصر الفارابي تعريف المثل في أمر التداول والانتشار، مشيرا إلى انه يختصر المواقف ومستويات التعبير، مؤكدا على أن قيمة الأمثال في دورها التربوي، وما تحمله من محاربة النقائص، مستشهدا بان الذوق العام لا يجتمع منقصة.

والمرزوقي في شرح الفصيح يعرفه بالقول: «المثلُ جملة من القول مقتضبةٌ من أصلها أو مرسلةٌ بذاتها، فتتَّسم بالقبول وتشّهر بالتداول، فتنقل عما وردت فيه إلى كلِّ ما يصح قَصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها وعما يوجِبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني فلذلك تُضرب وإن جهِلت أسبابها التي خرجت عليها واستجيز من الحذف ومضارع ضرورات الشعر فيها ما لا يستَجاز في سائر الكلام»[2].

فالمرزوقي يرى حقيقة المثل في تركيز المعنى في جملة موجزة يراها مدار تواصل بين أصله واستخدامها ويبين أنّها حالة مشابهة لقصتها الأولى. ويبقى المثل صورة للاستخدام المكثف لحالات متنوعة لكن بصورة مشروطة، ولا انحراف في توظيف المثل وان جهل أصله، ومحتفظا بصورة التي ولد عليها ودرج على الألسن بعد ذلك

ويجمع الميداني جملة من التعاريف للفظ الأمثال تتمثل في رؤى بعض معلميه ومعاصريه نوردها:

«قال المبرد: المثل مأخوذ من المثال، وهو: قول سائر يشبّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه»[3]

«قال ابن السكيت: المثل: لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شبهوه بالمثل الذي يُعْمَل عليه غيره.

---

(1).السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها. تحقيق محمد أحمد حاد المولى و علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الجيل بيروت و دار الفكر1/ 486 .

(2).السيوطي. المزهر/ 486.

(3).الميداني، مجمع الأمثال ج1، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية،1955، مقدمة الكتاب ص5.

وقال غيرهما: سميتْ الحكَم القائم صدقها في العقول أمثالا لانتصاب صورها في العقول، مشتقة من المثول الذي هو الانتصاب.

وقال إبراهيم النظام: يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى، وحسن التشبيه وجودة الكناية؛ فهو نهاية البلاغة.

وقال ابن المقفع: إذا جعل الكلام مثلا؛ كان أوضح للمنطق، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث»[1]

تتقاطع التعاريف السابقة في قيمة المثل وتحيد فاعلية دوره من خلال شغف العربي في تعاطيه قديما وخاصة في زمان الجاهلية والاسلام وتواضعت هذه الرؤى وغيرها على ان الامثال صوت العامة والخاصة استصاغت ألسن رجالها ونسائها وفتيانها توظيفها في كل حوادث حياتها جليلها وحقيرها لما تحمله من يسر التعبير وسرعة التشبيه ودقة المعنى المراد قصده.

2. تعريف الحكمة:

كذلك الحكمة قد ذكرت لها مفاهيم كثيرة من حيث المفهوم:

فقد اعتبرها ابن عباس وقتادة بأنها علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وعرفها الراغب بقوله : «الحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل. والحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات»[2]

وتأخذ الحكمة عند بعض العلماء بعدا أخلاقيا؛ فقد رآها ابن دريد بانها تمثل: « كل كلمة وعظتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة»[3]

وقال عنها ابن قتيبة:«هي العلم والعمل به، ولا يكون الرجل حكيما حتى يجمعهما»[4]

---

(1).المرجع نفسه، ص 6.

(2).الراغب الأصفهاني حسين بن محمد بن الفضل . مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق عدنان داودي. دار القلم، دمشق، سوريا، ط2، 1997، ،ص249.

(3)البغوي. تفسير البغوي المسمى " معالم التنزيل." ط 1.دار ابن حزم. بيروت200. ..ص65..

(4).االمرجع نفسه.ص65..

وعرفها واضعو المعجم العربي الأساسي بأنّها«معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم أو معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لأجل العمل به»[1]

ويقول فيها الزيات «والحكمة قول رائع موافق للحق سالم من الحشو، وهي ثمرة الحُنكة ونتيجة الخبرة وخلاصة التجربة، كقولهم: الخطأ زاد العَجول.»[2]

ولما كانت الأمثال بهذه المثابة فقد كثر ذكرها واستعمالها في التراث العربي القديم، إذ ذكرت في القرآن وفي الحديث الشريف وفي كلام البلغاء.

أما ذكرها في القرآن فكثير ومنه:

(ويضرب الله الأمثال للنّاس لعلّهم يتذكّرون) إبراهيم
(للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الأعلى) النحل60./
(ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كلّ مثل)الروم58. /
(ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كلّ مثل لعلّ هم يتذكّرون)الزمر27. /
(وتلك الأمثال نضربها للنّاس لعلّ هم يتفكّرون)الحشر21. /ومثل هذا في القرآن الكريم كثير..

المعاني الواردة للمثل في القرآن الكريم:

يقول الحسين بن محمد الدامغاني في كتابه إصلاح الوجوه والنظائر أن «"م.ث.ل" وردت" على أربعة أوجه:

المثل بمعنى **السنن** .كقوله تعالى في سورة البقرة**(ولمّا يأتكم مثل الذين خلو)** يعني السنن.

المثل بمعنى **العبرة** كما في قوله تعالى في سورة الزخرف **(فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين)** يعني عبرة.

المثل بمعنى **الصفة** كما في قوله تعالى في سورة الفتح**(ذلك مثلهم في التّوراة ومثلهم في**

(1).المعجم العربي الأساسي . لمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . ط / لاروس . . 1989ص341.
(2).تاريخ الأدب العربي الزيات، ص 18.

الإنجيل) يعني صفتهم المثل بمعنى **العذاب** كما في قوله تعالى في سورة إبراهيم **(وضربنا لكم الأمثال)** وضعنا لكم العذاب."»[1]

أما ذكرها في حديث رسول الله فكثير هو الآخر ومنه:

.«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التّمرة لا ريح لها وطعمها حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ،ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»[2]

.«مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت»[3] .

« مثل المنافق كمثل الشّاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة والى هذه مرة»[4]

أما مجيئها على ألسنة البلغاء : فمنه قول كعب بن زهير :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها إلاّ الأباطيل

وقال امرؤ القيس :

لها ذنب مثل ذيل العروس تسد به فرجها من دبر

وقالت ليلى الأخيلية :

أعيرتني داء بأمك مثله و أي حصان لا يقال لها هلا

وقال المتلمس:

و ما كانت إلاّ مثل قاطع كفّه بكفّ له أخرى فأصبح أجذما

وبهذا اجتمعت الرؤى على القيمة الفعلية للحكمة تمثل عامل تعريفها، فكونها شرفا لكل من خُص بها ورفعة لكل من اتصف بلسانها، وهكذا تستفيض التعاريف في قيمتها ودورها وصاحب حظوتها .

---

(1).لدامغاني .إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم . تحقيق عبد العزيز سيد الأهل. دار العلم للملايين، بيروت . 1985.ط 05 .ص 428. 429.

(2).مسلم. أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري. الجامع الصحيح. تحقيق صدقي جميل العطار. دار الفكر.ط 01.سنة2000 . ص 364وانظر الحديث عند ابي داود. ص 906و ابن ماجه. ص71.

(3).مسلم. المصدر نفسه .ص358. .

(4).مسلم. المصدر نفسه .ص1371.

قيمة الأمثال والحكم وأهميتهما:

يقول الجاحظ:« كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة، ولم يكن الناس جميعا ليتمثلوا بها الا لما فيها من المرفق والانتفاع»[1]

انطلاقا من هذا الموقف الذي يصدره واحد من أهم كتاب النثر في العهد العباسي نكون أمام موضوع ذا بال في تاريخ النثر العربي القديم، لنقف على مستوى التعامل مع الأمثال والحكم، التي لا يمكن اعتبارها على الفكاهة والتنكيت، فقد نقل السيوطي في بيان أهميتها عن الأصبهاني أنّه قال: « لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء النظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خفيات الدقائق ورفع الأستار عن الحقائق. تريك المتخيل في صورة المتحقّق والمتوهم في معرض المتيقّن والغائب كأنّه مشاهد. وفي ضرب الأمثال تنكيت للخصم الشّديد الخصومة وقمع لضرورة الجامع الأبي فانه يؤثر في القلوب مالا يؤثّر وصف الشيء في نفسه ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه وفي سائر كتبه الأمثال، ومن سور الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال، وفشت في كلام النبي وكلام الأنبياء والحكماء»[2] .

ويظهر أبو هلال العسكري جانبا من صور أهمية الأمثال والحكم حين يعتبرها تستطيع أن «تتصرف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جلّ أساليب القول، أخرجوها في أقواها من الألفاظ، ليخفّ استعمالها، ويسهل تداولها، فهي من أجلّ الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله، لقلّة ألفاظها، وكثرة معانيها، ويسير مؤونتها على المتكلّم، مع كبير عنايتها، وجسيم عائدتها، ومن عجائبها أنّها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب، ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب؛ والحفظ موكّل بما راع من اللّفظ، وندر من المعنى، ولما رأيت الحاجة إليها هذه الحاجة عزمت على تقريب سبلها وتلخيص مشكلها، وذكر أصولها وأخبارها، ليفهمها الغبي فضلا عن اللّقين الذكي»[3]، فمظهر السحر يتمثل في ما تخلعه على الكلام من سحر التعبير وما تحققه من إمكانية التوازي الافقي في التواصل بين بطيء الفهم ذكيه، في تحقيق هامش من التوافق الفهم وخاصة في الامثل والحكم التي لا تستوجب استخدام القدرات الخاصة.

(1).الجاحظ: البيان والتبيين، ج1 ص 271.

(2).السيوطي . جلال الدين عبد الرحمان . الإتقان في علوم القرآن. عالم الكتب. بيروت2/ 132. .

(3).أبو هلال العسكري. جمهرة الأمثال. ضبط أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1988. 1 / 10

ويرى الأبشيهي صاحب " المستطرف في كل فن مستظرف ":«أن الأمثال من أشرف ما وصل به اللبيب خطابه، وحلّى بجواهره كتابه، وقد نطق كتاب الله تعالى وهو أشرف الكتب المنزلة بكثير منها، ولم يخلُ كلام سيدنا رسول الله عنها، وهو أفصح العرب لسانا وأكملهم بيانا، فكم في إيراده وإصداره من مثل يعجز عن مباراته في البلاغة كلّ بطل.»[1]

لهذا ولغيره من الدلائل عظّم العرب شأن المثل وأكبروه، وأولوه عناية فائقة وأنزلوه منزلة رفيعة خاصة وأنه ذكر في القرآن فارتبط عندهم به فعدوه مما موجبات المعرفة الضمنية فيه يجب إدراكها. قد أخرج البيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «**إن هذا القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال؛ فاعملوا بالحلال، واجتنبوا الحرام، واتّبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال**»[2].

ويذكر السيوطي في أمر ذلك الترغيب أن الكثير من العلماء خاض في معرفة أمثال القرآن وعدوا ذلك علما قائما بذاته يجب الإلمام بحظه ليتمكنوا من التخصص فيه بعد ذلك؛ فقد قال الشافعي في بيان أن إدراك معرفة في أمثال القرآن مما يجب على المجتهد معرفته: «ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته المبينة لاجتناب ناهيه»[3]. أو تأمل خلاصة ما قاله الماوردي: «من أعظم علم القرآن علم أمثاله»[4].

أما الحكمة فقد كانت بينهم أرفع شأنا من الأمثال، لأن المثل يمثل ثقافة عامة الشعب تعبيرا عن اهتماماته ومستوى تفكيرهم الاجتماعي بكل ما تحمل اللفظة من عفوية جميع طبقاته وتلقائية تعاملها، بينما الحكمة فتمثل مظهرا حضارية لثقافة وتفكير الخاصة تهذيبا وصقلا لثقافة المجتمع، وهو ما جعلها وثيقة الصلة بالنبوة، حتّى قيل في تعريفها: « الحكمة لا تختص بالنبوة بل هي أعم منها وأعلاها النبوة، والرسالة أخص، ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التّبع»[5].

---

(1).شهاب الدين الأبشيهي. المستطرف في كل فن مستظرف. دار الكتب العلمية . بيروت، لبنان . ص34.

(2)السيوطي . الإتقان131/2. .

(3).السيوطي . المصدر نفسه الصفحة نفسها.

(4).المصدر نفسه الصفحة نفسها.

(5).ابن كثير .المصدر نفسه1 / 571..

وبهذا فالحكيم مقدم في قومه مبجل في التعامل معه يشار في كل الأمور وحتى في القرآن كان الحكيم الخضر معلما لنبي الله ولقمان الذي قال فيه المولى عز وجل: (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ) لقمان12، يقال أنه خُير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وليست التفرقة بين المثل والحكمة بالأمر الهين، لأن كلاّ منهما يصاغ في عبارة موجزة ويحمل قيمة تربوية أو أكثر تعمل على تعديل السلوك إلى وجهة الصواب.

وقد جمع أبو عبيد اللفظين في تعريف موحد جامع معتبرا أن: «الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولَتْ من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال :إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وقد ضربها النبي وتمثَّل بها هو ومن بعده من السلف»[1]، ولا أراه إلا وقد جاء قوله هذا بفصل الخطاب في مجموع التعاريف للأمثال والحكم.

تدوينه:

لقد اهتم الدارسون بموروث الأمثال والحكم ودققوا في أمرها واحكموا توثيقها معتبرين أنه « ليس كلّ نعت صائب، ولا كل كلام فصل يسمى مثلا، وإنّما المثل ما استعمله غير واضعه وهو يقبله، ووضعه في أثناء كلامهم الخاصة والعامة، فقد قال قوم في الجاهلية و صدر الإسلام أقوالا لو استعملت لكانت أمثالا، بل كانت تربي على كثير مما استعملوه، فدفنت تحت النسيان وماتت في أثناء الدفاتر، وليس لهذا الباب حد معلوم، ولا رسم مرسوم، وإنّما هو على حسب ما يعرض للبخت، وينفق في الوقت»[2]، ونضيف إلى هذا الضرب الأقوال المأثورة عن العرب والتي استعملوها في مناسبات خاصة كالتّهنئة والدعاء، أو التي استعملها علماء اللغة الأدب كشواهد، وكذلك الحال مع الأقوال التي المتعارف عليها بالحكَم.

وقد حرص أوائل الأدباء والمهتمين على جمع بعض شتاتها، فأثبتوها في مصنفات خاصة، وقرنوها بالشروح، وأردفوا ما أمكن منها بخبره وقصته، فقد سارعوا « إلى تدوينها منذ أواسط القرن الأول للهجرة، إذ ألف فيها صُحار العبدي أحد النسابين في أيام معاوية بن أبي سفيان كتابا، كما ألف فيها عُبيد بن شَرِيّة معاصره كتابا آخر، يقول صاحب الفهرست إنه رآه في نحو

(1).أبو عبيد البكري .فصل المقال في شرح كتاب الأمثال .ص4

(2).الخوارزمي: الأمثال . تحقيق محمد حسين الأعرجي . موفم للنشر، الجزائر، 1993.من مقدمة الكتاب . ص6 .

خمسين ورقة، وإذا انتقلنا إلى القرن الثاني وجدنا التأليف في الأمثال يكثر، إذ أخذ علماء الكوفة والبصرة جميعا يهتمون بها ويؤلفون فيها، وقد وصلنا عن هذا القرن كتاب أمثال العرب للمفضل الضبي، ونمضي إلى القرن الثالث فيؤلف أبو عبيد القاسم بن سلام كتابا يشرحه، من بعده أبو عبيد البكري باسم " فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام" و ما تزال المؤلفات في الأمثال تتوالى؛ حتى يؤلف أبو هلال العسكري كتابه " جمهرة الأمثال"، ويخلفه الميداني فيؤلف كتابه " مجمع الأمثال" »[1] وهو يقول في مقدمته «طالعت من كتب الأئمة الأعلام، ما امتد في تقصيه نفَس الأيام، مثل كتاب أبي عبيدة وأبي عبيد والأصمعي وأبي زيد وأبي عمرو وأبي فيد، ونظرت فيما جمعه المفضل بن محمد والمفضل بن سلمة. حتى لقد تصفحت أكثر من خمسين كتابا، ونخلت ما فيها فصلا فصلا وبابا بابا»[2].

لقد شغلت الامثال اهتمام الاقدمين كما تفعل الآن بالمعاصرين وكان من سرعة تدوينا(النصف الاول من القرن الاول هجري) ما جعلها أكبر أمانا من التحريف واصدق لسانا من الشعر بما اصابه في تدوينه كما سبق الحديث عن ذلك فتدوين الامثال كان عملا خالصا للعلم والفكر امام دافع تدوين الشعر الذي كان نتاج جائزة لهث المتنافسون في نيلها وما كان منهم من التنصل من قيم آمنوا بها والتزموها قبل حدوث المغريات فتلك الكتب انما حملت صورة صادقة بقصص امثالها عن جانب هام من حياة العرب فالأمثال إن أردنا الانصاف هي الديوان الحقيقي لحياة العرب وصوت شعبها الصافي المسموع، الذي لا يشوبه التشويش.

طائفة من الامثال

والأمثال في مجموعها مستخلص اجتماعي يرسم صورية واقعية لمناحي الحياة المعاشة وما دامت تلك المظاهر قابلة للتكرار باتت الامثال الدالة عليها مسترجَعة وجدت فيها حياتنا المعاصرة ما هو جدير بالالتفات، وخاصة لما تبثه من رسائل سلوكية تربوية مباشرة قد ترسم ابتسامة الرضا أو التأسف لكل من يكون في دائرة حكمها العام وهذه طائفة من تلك اللطائف اللغوية التي شغلت اهتمام الباحثين والدارسين وما زالت تومض بالمزيد حول اسرارها وخباياها:

يقول كعب بن زهير: كانت مواعيد عُرقوبٍ لها مثلا وما مواعيدها إلا الأباطيل

(1).شوقي ضيف العصر الجاهلي ص 404.

(2).الميداني، مجمع الأمثال ج1، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية،1955، مقدمة الكتاب ص 4.

:«أي الرجل المهذب، إياك أعني واسمعي يا جارة، تجوع الحرة ولا تأكل بثديها، رُب عجلة تهب ريثا، رمتني بدائها وانسلت، لا تعدم الحسناء ذاما، لكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة، مقتل الرجل بين فكيه، المقدرة تذهب الحفيظة، من سلك الجدد أمن العثار، أسمع من فرس في غلس، اذا فزع الفؤاد ذهب الرقاد، الحر حر وإن مسه الضر، من استرعى الذئب ظلم، لا تلد الحية الا حية، قبل الرماء تملأ الكنائن، جنت على أهله براقش، اذا عز أخوك فهن، أفى من السموأل، جزاء سنمار، قطعت جهيزة قول كل خطيب، أشأم من عطر منشم، انك لا تجني من الشوك العنب، وافق شن طبة»

الحكمة في القرآن والحديث

ففي القرآن ذكرت في آيات كثيرة منها قوله تعالى:

(وما أنزل عليكم من الكتاب و الحكمة يعظكم به)البقرة231/

(يؤتي الحكمة من يشاء و من يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا.)البقرة269/

(و يعلمكم الكتاب والحكمة.)آل عمران164/

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة)النحل125/

(ولقد جاءكم من الأنبياء ما فيه مزدجر، حكمة بالغة)القمر5/4 :

يقول الدامغاني بأن مادة (ح ك م) وردت في القرآن على خمسة أوجه :[1]

* "الحكمة بمعنى **الموعظة** .قال تعالى : **(وما أنزل عليكم من الكتاب والحكم ة يعظكم به)** البقرة 231.يعني المواعظ التي في القرآن من الأمر والنهي.

*الحكم يعني **الفهم والعلم** .قوله تعالى في سورة مريم **(وآتيناه الحكم صبيا)**12، يعني الفهم والعلم.

*الحكمة يعني **النبوة** .قوله تعالى في سورة النساء**(فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة)**54.يعني النبوة مع الزبور.

*الحكمة يعني **تفسير القرآن** .قوله تعالى في سورة البقرة **(يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا)**269. يعني تفسير القرآن

(1).الدامغاني . المصدر نفسه . ص 141.

وذكرت في الحديث الشريف في مواطن كثيرة منها قوله :

.« **الحكمة ضالّة المؤمن، حيثما وجدها فهو أحقّ بها**»[1].

.« **لا حسد إلا في اثنتين .رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها**»[2].

. " **إن من الشعر حكمة** ."

. وعن مالك أنه بلغه أن لقمان الحكيم أوصى ابنه فقال« **يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل السماء**»[3]**5**."

وأما ذكرها في كلام البلغاء ففي مثل: قول علي: «والحكمة ضالة المؤمن فليطلبها ولو في يدي أهل الشرك»[4]، وقول معاوية: « الفرصة خلسة، والحياء يمنع الرزق ، والهيبة مقرون بها الخيبة والكلمة من الحكمة ضالة المؤمن»[5]

خصائصها

«المثل جملة مقتطعة من القول أو مرسلة بذاتها، تُنقل عمن وردت فيه إلى مشابهه بدون تغيير. وهذا النوع خاص بالعرب لانتزاعه من حياتهم الاجتماعية وحوادثهم الفردية»[6]

وينقل قول التبريزي في تهذيبه :« تقول الصيف ضيعت اللبن مكسورة التاء إذا خوطب بها المذكر والمؤنث والاثنان والجمع لأن أصلَ المثل خوطبت به امرأة وكذلك قولهم أَطّري فإنّك ناعله يضرب للمذكر والمؤنث والاثنين والجمع على لفظ التأنيث»[7].

---

(1).الترمذي. أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. سنن التّرمذي . ضبط صدقي جميل العطّار. ط2 . دار الفكر بيروت2002. ص771.و ابن ماجه. أبو عبد الله محمد بن يزيد سنن ابن ماجه. ضبط صدقي جميل العطّار. ط 1.دار الفكر بيروت 2001ص951. كلاهما عن أبي هريرة.

(2).مسلم.الصحيح.ص371 .و ابن ماجه958...

(3).مالك. بن أنس. الموطّأ. ضبط صدقي جميل العطّار. ط 3.دار الفكر بيروت 2002..ص619 .

(4).ابن قتيبة. أبو محمد عبد الله بن مسلم. عيون الأخبار . دار الكتب العلمية. بيروت1998. 2 / 139.

(5).القالي. أبو علي إسماعيل بن القاسم. الأمالي. بيروت. دار الكتب العلمية. ط1 . 1996. 1 / 194.

(6).تاريخ الأدب العربي الزيات، ص 18.

(7).السيوطي . المزهر في علوم اللغة و أنواعها1. تحقيق محمد أحمد حاد المولى و علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الجيل بيروت و دار الفكر.ص486.

وقال ابن منظور في اللسان: «وقال ابن جنّي في تأدية المثل على ما وضعت عليه: يؤدي ذلك في كلّ موضع على صورته التي أنشئ في مبدئه عليها»[1] وقال أبو عمرو بن العلاء: «والأمثال تؤدى على ما فرط به أول أحوال وقوعها»[2]، هذه المسحة هي الركيزة التي عَلَّقْت عليها سائر الأهداف، وجَعَلْت منها الطُّعْم الذي يغري المتلقي باقتفائه.

«بعض الأمثال غامض، لا يفهمه سامعه أو قارئه إلا اذا رجع إلى كتب الأمثال يستعين بها في شرح المراد منه، من ذلك قول العرب: " بعينٍ ما أرينَّك" فإن معناه أسْرِعْ، وهو معنى لا يفهم من اللفظ بتاتا»[3] فمثل هذا المثل يعرف معناه من خلال مدلوله التواضعي سماعا وتواصلا، اما التأمل في لفظه وما يبوح من مدلول لا يقدم شيئا.

«ومعروف أن المثل لا يتغير، بل يجري كما جاء على الالسنة، وإن خالف النحو وقواعد التصريف، فقد جاء في أمثالهم: اعط القوس باريها بتسكين الياء في باريها، والأصل فتحها، وجاء أيضا في أمثالهم: أجْناؤها أبناؤها، جمع جان وبان، والقياس الصرفي: جُناتها بُناتها؛ لأن فاعلا لا تجمع على أفعال»[4]

«واشتهر في الجاهلية بينهم كثيرون بهذا اللون من الأمثال وما يتصل بها من حكم يقول الجاحظ :"ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء أكثم بن صيفي وربيعة بن حذار ورم بن قطبة وعامر بن الظرب ولبيد بن ربيعة "[5] واحكمهم أكثم بن صيفي التميمي وتدور على لسانه حكم وامثال كثيرة كثيرة وقد ساق السيوطي في المزهر طائفة منها نقلا عن ابن دريد في أماليه وهي تجرى على هذا النسق.

"رب عجلة تهب ريثا "، ادّرعوا الليل فان الليل اخفى للويل، المرء يعجز لا محالة، لا جماعة لمن اختلف، لكل امرئ سلطان على أخيه حتى يأخذ السلاح، فإنه كفى بالمشرفية واعظا، اسرع العقوبات عقوبة البغي، شر النصرة التعدي، آلم الأخلاق أضيقها، واسوا

(1).ابن منظور: تهذيب لسان العرب" بيروت. دار الكتب العلمية. ط.) مادة نشأ) .
(2).تهذيب اللسان مادة زول.
(3).شوقي ضيف الفن ومذاهبه، ص 24.
(4).شوقي ضيف الفن ومذاهبه ص 21.
(5).الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص365.

الآداب سرعة العقاب، رب قول أنفذ من صول، الحر حر وان مسه الضر، العبد عبد وإن ساعده الجد، واذا فزع الفؤاد ذهب الرقاد، رُب كلام ليس فيه اكتتام، حافظ على الصديق ولو في الحريق، ليس العدل سرعة العذل، ليس بيسير تقويم العسير، اذا بالغت في النصيحة هجمت بك على الفضيحة، لو أنصف المظلوم لم يبق فينا ملوم، قد يبلغ الخضم بالقضم، استان أخاك فإن مع اليوم غدا، كل ذات بعل سَتَئِيم، الحر عزوف، لا تطمع في كل ما تسمع"

وعامر مثل أكثم يدخل في المعمرين ويقال انه "لما اسن واعتراه النسيان امر ابنته ان تقرع بالعصا إذا هو فه عن الحكم وجار عن القصد وكانت من حكيمات العرب حتى جاوزت في ذلك مقدار صُحَر بنت لقمان وهند بنت الخس وجمعة بنت حابس وقال الملتمس في ذلك: لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما "

وكان مثل أكثم حكما للعرب تحتكم إليه»[1]

«واكثر حكمهم وامثالهم لا يعينون قائلها وهذا طبيعي لأنها تنبعث غالبا من أناس مجهولين من عامة القبائل ممن لا يمجدون ولا يحفل بهم الناس وهم أيضا لا يحفلون بأنفسهم لا انهم من العامة والعامة عادة لا يهتمون بنسبة فضل اليهم ولابد ان نلاحظ ان البعض امثالهم يخفى المعنى المراد منه من اجل ذلك كان لا يفهم الا بالرجوع الى كتب الامثال كقولهم: «بعين ما ارينك " فان معناه : اسرعوا هو معنى لا يتبادر الى السامع من ظاهر اللفظ ومن ثم علق عليه أبو هلال العسكري بقوله :"هو من الكلام الذي قد عرف معناه سماعا من غير ان يدل على لفظه "ولابد ان نلاحظ ايضا الامثال لا تتغير فتقول :"الصيف ضيعتِ اللبن " بكسر التاء اذا خاطبت الواحدة والواحدة والاثنين والاثنين والجماعة ومن ثم كانوا يستجيزون في امثل مخالفة النحو والقواعد التصريف والجمع ففي

(1).المرجع نفسه، ص407.

امثالهم :"اعط القوس باريها "بتسكين الياء في باريها والقياس فتحها وفيها أيضا :"اجناؤها أبناؤها "جمع جان و بان والقياس :"جناتها بناتها" لان فاعلا لا يجمع على الأفعال »[1]

نماذج

(1).شوقي ضيف: تاريخ لأدب العربي، العصر الجاهلي،دار المعارف، القاهرة، مصر، ط11، د.ت، ص408.

وزعموا أن الاضبط بن قريع

بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم

كان يرى من قومه وهو سيدهم بغياً عليه وتنقصاً له فقال: ما في مجامعة هؤلاء خير، ففارقهم وسار بأهله حتى نزل بقوم آخرين، فإذا هم يفعلون بأشرافهم كما كان يفعل به قومه من التنقص له والبغي عليه، فارتحل عنهم وحل بآخرين، فإذا هم كذلك، فلما رأى ذلك انصرف وقال: ما أرى الناس إلا قريباً بعضهم من بعض، فانصرف نحو قومه وقال: أينما أوجه ألق سعداً فأرسلها مثلاً.

ألق سعداً أي أرى مثل قومي بني سعد. ومما زاده قوله: في كل واد بنو سعد.

بن مالك بن زيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة

أغار على كلب ثم على بني عدي بن جناب من كلب، فأصاب فيما أصاب أهل عمرو بن ثعلبة أخي بني عدي بن جناب، وكان صديقاً لضرار بن عمرو، و لم يشهد القوم حين أغير عليهم، فلما جاءهم الخبر تبع ضرار وكان فيما أخذ من أهله يومئذ سلمى بنت وائل الصائغ، وكانت أمه له وأمها وأختين لها، وسلمى هي أم النعمان بن المنذر ابن ماء السماء، فلما لحق عمرو بن ثعلبة ضراراً قال له عمرو: أنشدك المودة والاخاء فإنك قد أصبت أهلي فارددهم علي، فجعل ضراراً يردهم شيئاً شيئاً حتى بقيت سلمى وأختاها، وكانت سلمى قد اعجبت ضراراً، فسأله إن يردهن، فردهما غير سلمى، فقال عمرو بن ثعلبة: يا ضرار: أتبع الفرس لجامها فأرسلها مثلاً، فردها عليه ومما زاده قوله: والدلو رشاءها.

وزعموا أن عمرو بن عدس

بن زيد بن عبد الله بن دارم تزوج بنت عمه دختنوس بنت لقيط بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم

بعدما أسن، وكان أكثر قومه مالاً وأعظمهم شرفاً فلم تزل تولع به وتؤذيه وتسمعه ما يكره وتهجره وتهجره حتى طلقها، وتزوجها من بعد عمير بن معبد بن زرارة وهو ابن عمها، وكان رجلاً شاباً قليل المال، فمرت إبله عليها كأنها الليل من كثرتها فقالت لخادمتها: ويلك انطلقي إلى أبي شريح- وكان عمرو يكنى بأبي شريح- فقولي له فليسقنا من اللبن، فاتاها الرسول فقال: إن بنت عمك دختنوس تقول لك اسقنا من لبنك، فقال لها عمرو قولي لها الصيف ضيعت اللبن. ثم أرسل إليها بلقوحين ورواية من لبن، فقال الرسول: أرسل إليك أبو شريح بهذا وهو يقول: الصيف ضيعت اللبن، فذهبت مثلاً فقالت وزوجها عندها، وحطأت بين كتفيه، أي ضربت: هذا ومذقة خير فأرسلتها مثلاً. والمذقة شربة ممزوجة.

وزعموا أن الاضبط بن قريع

بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم

كان يرى من قومه وهو سيدهم بغياً عليه وتنقصاً له فقال: ما في مجامعة هؤلاء خير، ففارقهم وسار بأهله حتى نزل بقوم آخرين، فإذا هم يفعلون بأشرافهم كما كان يفعل به قومه من التنقص له والبغي عليه، فارتحل عنهم وحل بآخرين، فإذا هم كذلك، فلما رأى ذلك انصرف وقال: ما أرى الناس إلا قريباً بعضهم من بعض، فانصرف نحو قومه وقال: أينما أوجه ألق سعداً فأرسلها مثلاً.
ألق سعداً أي أرى مثل قومي بني سعد. ومما زاده قوله: في كل واد بنو سعد.

وزعموا أن عمرو بن جدير

بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة

كانت عنده امرأة معجبة له جميلة، وكان ابن عمه يزيد بن المنذر ابن سلمى بن جندل بها معجبا، وان عمرا دخل ذات يوم بيته فرأى منه ومنها شيئاً كرهه حتى خرج من البيت، فأعرض عنه، ثم طلق المرأة من الحياء منه، فمكث ابن جدير ما شاء الله لا يقدر يزيد بن المنذر على أن ينظر في وجهه من الحياء منه ولا يجالسه، ثم أن الحي أغير عليه، وكان فيمن ركب عمرو بن جدير، فلما لحق بالخيل ابتدره فوارس فطعنوه وصرعوه ثم تنازلوا عليه، ورآه يزيد بن المنذر فحمل عليهم فصرع بعضهم، وأخذ فرسه واستنفذه، ثم قال له: اركب وانج فلما ركب قال له يزيد: تلك بتلك فهل جزيتك فذهبت مثلاً.

وزعموا أن قوماً كانوا في جزيرة

من جزائر البحر في الدهر الأول

ودونها خليج من البحر، فأتاها قوم يريدون أن يعبروها فلم يجدوا معبراً، فجعلوا ينفخون أسقيتهم ثم يعبرون عليها، فعمد رجل منهم فأقل النفخ وأضعف الربط، فلما توسط الماء جعلت الريح تخرج حتى لم يبق في السقاء شيء، وغشية الموت فنادى رجلاً من أصحابه أن يا فلان إني قد هلكت. فقال: ما ذنبي يداك أوكتا وفوك نفخ فذهب قوله مثلاً. اوكيت رأس السقاء إذا شددته وقال بعض الشعراء:

دعاؤك حذر البحر أنت نفخته بفيك وأوكته يداك لتسبحا

زعموا أن شيخاً كانت تحته امراة شابة

فكانت تراه إذا أراد أن ينتعل قعد فانتعل، وكانت ترى الشبان ينتعلون قياماً؛ فقالت يا حبذا المنتعلون قياماً فسمع ذلك منها فذهب ينتعل قائماً فضرط وهي تسمع فقالت: إذا رمت الباطل أنجح بك اي غلبك، فأرسلتها مثلاً.

زعموا أن الحارث بن أبي شمر الغساني

سأل أنس ابن الحجيرة عن بعض الأمر فأخبره به فلطمه فقال: ذل لو أجد ناصراً ثم قال: الطموه، فقال أنس: لو نهي عن الأولى لم يعد للآخرة، فأرسلها مثلاً فقال زيدوه فقال أنس أيها الملك ملكت فأسجح فأرسلها مثلاً. فأمر أن يكف عنه.